

السيرة 12 السنة 1 السداسي 1 الهجرة إلى الطائف

الحمد لله وكفاء، والصلاة والسلام على النبي الكريم المصطفى، صلوات ربي وسلامه عليه طلابنا الكرام، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

ذاقت مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد إيذاء أهلها له، وبعدما توفي عم النبي صلى الله عليه وسلم وزوجته خديجة رضي الله عنه، ازداد عدا كفار قريش له، وضاعفوا عليه أصناف الأذى، حتى وصل بهم الأمر لرمي القادرات عليه. بفكر النبي صلى الله عليه وسلم في الذهاب إلى الطائف لعله يجد من ينصره من قبيلة ثقيف، وكان هذا هو سبب توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، فالطائف الأقرب إلى مكة، وللرسول صلى الله عليه وسلم فيهم خ أولى، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا بن العواتك، والعواتك جمعاتك، وهي المرأة المجرمة بالطيب. وكانت اسما لثلاث نسوة من أمهات النبي صلى الله عليه وسلم. إحداهن عاتكة بنت هلال، أم عبد مناف بن قصي، والثاني عاتك بنت مرة ابن هلال، أم هاشم بن عبد المنعم، والثالثة عاتكة بنت الأوقس، أم وهب أبي أمية أم النبي صلى الله عليه وسلم. والطائف تقع على بعد ما يقارب 120 كم في الجهة الجنوبية لمكة المكرمة. وقد سميت المدينة بالطائف نسبة إلى الصور أو الحائط الذي كان يحيط بالمدينة. وكانوها، وكان اسمها القديم، هو مدينة هوج، هي مدينة زراعية، والزراعة كانت تعتبر الحرثة الأولى لثقيف. وساعد اعتدال الجو وجودة التربة ووفرة المياه إلى قيام نشاط زراعي واسع، فاشتهر ثقيف بزراعة الفواكه المتعددة وأمها العنب والرمان وغيرها. كذلك عرفت ثقيف أو عرفت ثقيف الصناعة بالأخص صناعة الجلود والدباغة والتجارة والحداد، بالإضافة إلى التجارة التي نشطت بين أبناء ثقيف، حيث أصبحوا يربون بلاد فارس وبلاد الروم في رحلات عديدة لغرض التجارة. وثقيف قبيلة عربية تقيم منذ ما قبل الإسلام وإلى اليوم في مدينة الطائف وما حولها غرب شبه الجزيرة العربية، وحيا، وهي إحدى قبائل قيس عيلان المعروفة بالقبائل القيسية. قيس عيلان هو ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. من فروع قبيلة هوازن إحدى القبائل القيسية والحجاج بن يوسف منهم. فقد سأله عبد الملك بن مروان عن كونهم من قبيلة إياد فرد الحجاج عليه قائلا معاذ الله يا أمير المؤمنين نحن من قيس ثابت أصولنا بأسفة فروعنا يعرف ذلك قوم. كان خروج النبي صلى الله عليه وسلم في شهر شوال من السنة العاشرة للبعثة. واصطحب معه مولاة زيد بن حارث رضي الله عنه. ولما وصل إلى الطائف، أخذ يدعوهم إلى الإسلام، وإلى دعوة الحق، ونصرة دعوته، فلم ينل منهم سوى التكذيب والإنكار، ولم يستجيبوا له وآباء، وأبوا أن يكتموا خبره، بل أغروا بي سفهائهم يسبونهم، ويصحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وجعلوا يرمونه بالحجارة. وبكلمة، بكلمات من السفاه، ورجموا عراقيبه. حتى اغتظبا نعلاه بالدماء صلى الله عليه وسلم، وكان زيد بن حارث يحميه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه، فأقام بها عشرة أيام، فلم يجيبوه، وآذوه، وأخرجوه، فانصرف عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى مكة، وفي طريقه لقي عداسا النصراني، فآمن به، وصدق، وفي طريقه أيضا جلس عند نخلة، فصرف الله إليه نفرا من الجن، سبعة من أهل نصيبين. ونصيبين مدينة شمال الشام الآن تقع في تركيا. فاستمعوا القرآن وأسلموا، وفي طريقه تلك أرسل الله إليه ملك الجبال، يأمره بطاعته، وأن يطبق على قومه، أخشى بي مكة وهما جبلاها إن أراد. فقال لا. بل. أستأن بهم. لعل الله يخرج من أصلابهم. من يعبد لا يشرك به شيئا. واستأني بمعنى تأناهم ولم يعجلهم، وفي طريقه دعا بذلك الدعاء المشهور. اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي. الحديث. ثم دخل مكة في جوار المطعم ابن عدي ابن نوفل ابن عبد مناف، والد الصحابي جبير بن مطعم. عاش في زمن النبي صلى الله عليه

وسلم، لكنه توفي، ولم يعتنق الإسلام، ورغم ذلك فإن له في نفوس المسلمين احتراماً كبيراً لمواقفه الداعمة للمسلمين في بداية الدعوة، فقد كان أحد الستة الذين نقلوا الصحيفة المقاطعة لبني هاشم التي كتبت وعلقت في الكعبة. وهو الذي أجاز النبي صلى الله عليه وسلم لدى رجوعه من الطائف، عندما رفضت قريش دخوله إلى مكة، ومن ناقبه أيضاً المحمود للإسلام. أنه عندما كشفت قريش أمر بيعة العقبة الثانية، وقامت بمطاردة المبيعين بعد أدائهم للحج، وتمكنت فعلاً من القبض على سعد بن عبادَةَ ربطوه ودخلوا به إلى مكة، لكن المطعم بن عدي ومعه الحارث ابن حرب خلاصاه من أيدي القرشيين، لأنه كان يجير قوافلهم المارة بالمدينة. فرجع. لم يمسه سوء، ولما وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى حراء، أرسل رجلاً من خزاعة إلى المطعم بن عودين، يسأله أن يدخل، وزيد في جواره، فقال المطعم نعم، ودعا بنيهِ وقومه، فقال تلبسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرت محمداً، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم. ومعه زيد بن الحارثية، حتى انتهى إلى المسجد الحرام، وقام المطعم بن عدي على راحلته، فنادى يا أماه عشان قريش إني قد أجرت محمداً، فلا يهجه أحداً منكم. فأنهى النبي صلى الله عليه وسلم إلى الركن، فاستلمه، وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته، والمطعم بن عدي، وولدهم تحيطون به ل. لأجل ذلك، قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر لو كان مطعم بن عدي حياً، ثم استشعني في هؤلاء الننتا، يعني أسرى بدر لشفعته فيهم، توفي المطعم في مكة قبل غزوة بدر، وله نيف و90 سنة. فرثه الصحابي حسان بن ثابت. وستأتي معنا غزوة الطائف التي كانت في ثمان هجري. فتخللوا يأتي النبي صلى الله عليه وسلم للطائف ليستنصرهم وحيداً، ثم بعد سنوات يأتيهم بـ12,000 جندي. سبحان ناصر عبده. وفي هذه الحقبة الزمنية وفد على النبي صلى الله عليه وسلم، وفد دوس، كان لبني دوس مكانة كبيرة في قبائل العرب في العصر الجاهلي، قبيلة دوس، قبيلة عربية شهيرة من الأزد، وكانت مواطن دوس مأرب، ولما جاء الإسلام دخل منهم أفراد فيه في وقت مبكر. ومنهم الطفيلي بن عمر الدوسي، وأسلم في أوائل البعثة النبوية. وقال يا نبي الله، إن امرئ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم إلى الإسلام، فادعوا الله أن يكون لي عون عليهم فيما أدعوهم إليهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل له آية، ولما عاد الطفيل من مكة إلى دوس، أخذ يدعو إلى الإسلام، فأسلم أبوه عمرو بن طفي وزوجته. ولم يؤمن به إلا أسرته، وبعضه صح صحبة أو بعض صحبه.

فشد الرحال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، وأخبره بإعراض دوس، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده، قال اللهم اهد دوساً، وأتي بهم، فأسلموا الواحدة تلو الأخر، منهم جند ابن عمرو بن حممة، وأبي هريرة رضي الله عنه. وبقي الدوس على الإسلام حتى أتاهم نبع صلح الحديبية، وتأمين الطريق بين بلادهم والمدينة المنورة، وعدم تعرض قريش لمن يريد اللحاق بالرسول صلى الله عليه وسلم، فانطلق الطفيل وأبو هريرة بـ80 رجلاً من قومه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أواخر ذي الحجة سنة ست هجري، وواصلوا المدينة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر سنة سبع هجري. وكان لبني دوس علم بالرمية بالمنجنيق. ومهاجمة الحصون في حماية الدبابات. وكانت الطفيل قد بقي مع النبي صلى الله عليه وسلم منذ غزا خيبر، وقدم معه في فتح مكة، وعندما صار النبي صلى الله عليه وسلم الطائف أرسله إلى الأزد يستنصرهم، فجاء بـ400 رجل من الأزد، ومعهم أدواتهم، فبلغوا الطائف بعد أربعة أيام من حصار المسلمين إياها، ورمى المسلمون الطائف بالمنجنيق، وبعثوا إليه دبابات.

دخل تحتها نفراً منهم، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه، ولكن رجال الطائف كانوا من المهارة بحيث أكرهوا هؤلاء على أن يلوذوا بالفرار، فقد أحموا قطعاً من الحديد بالنار، حتى إذا انصهرت ألقتها على الدبابات فحرقتها، ففر جنود

المسلمين من تحتها خيفة أن يحترقوا. شارك الدوس في قتال المرتدين. وقُتل سيدهم الطفيلي بن عامر الدوسي في معركة اليمامة. ولما استنفر أبو بكر الصديق العرب للانضمام إلى الجيوش الموجهة إلى فتوح الشام، كان الدوس في مقدمة الأزد. كانت طفيل بن عمرو، الدوس يحدث أنه قدم مكة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها، فمشى إليه رجال من قریش، وكانت طفيل رجلا شريفا، شاعرا لبيبا، فقالوا له يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا، ففرق جماعتنا، وشتت أمرنا.

وإنما قوله كالسحر يفرق بين المرء وابنه، وبين المرء وأخيه، وبين الرجل وزوجه، وإننا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه، ولا تسمع منه، قال فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا، ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا فرقا من أن يبلغني شيئا من قوله أي وضع قطنا قطنا في أذنيه. لكي لا يسمع شيئا. قال فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة، فمقت قريبا منه، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلاما حسنا. فقلت في نفسي واثك لأماه، والله إني لرجل لبيب، شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعي أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان ما يقول حسنا قبلت، وإن كان قبيحا تركت، قال فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته، فتبعته، حتى إذا دخل بيته. دخلت عليه، فقلت يا محمد. إن نقامك قد قالوا لي كذا وكذا.

فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسة لأ أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني، فسمعت قولاً حسناً، فأعرض علي أمرك، قال فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، وتلى علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه فأسلمت. وشاهدت شهادة الحق، وقلت يا نبي الله إن امرئ مطاع في قومي، وإنني راجع إليهم، فدعهم إلى الإسلام. فأدعوا الله لأن يجعل لي آية تكون عوناً لي عليهم فيما أدعوههم إلي، فقال اللهم اجعل له آية كما قلنا. قال فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بثنية تطلعي على الحاضر، وقع نور بين عيني مثل المصباح. قلت اللهم في غير وجهي، إني أخشى أن يظنوا أنها مثلي، وقعت في وجهي، لفراقي دينهم، يعني جاءت هذه الآية نور بين عيني. قال فتحول فوق في رأس صوتي كالقنديل المعلق، وأنا أهبط إليهم من الثني حتى جئتهم، وأصبحت فيهم، فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخاً كبيراً، فقلت إليك عني يا أبتى، فلست منك ولست مني، قال ولما يا بني بأبي أنت وأمي، قلت فرق الإسلام بيني وبينك، فقد أسلمت، واتبعت دين محمد صلى الله عليه وسلم.

قال يا بني، فدين دينك؟ قال فقلت اذهب فاغتسل، وطهر ثيابك، ثم تعالى حتى أعلمك ما علمت. قال فذهب، فاغتسل، وطهر ثيابه، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام، فأسلم، وقد سار مع المسلمين إلى اليمامة، ومعه ابنه عمرو بن طفا ابن الطفيل، فقال لأصحابه إني قد رأيت رؤية فاعبروها لي، رأيت أن رأسي قد حلق، وأنه قد خرج. من فمي طائر وأنا امرأة. لقيتني. فأدخلتني في فرجها، ورأيت أن نبي، يطلبني طلباً حثيثاً، ثم رأيته حبس عني. قالوا خيراً رأيت، قال أما والله إني قد أولتها.

قالوا وما أولتها؟ قال أما حلق رأسي فوضعه، وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحي، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض. تحفر، فأغيب فيها، وأما طلب ابني إياي وحبسه عني. فإني أراه سيجهد لأن يصيبه من الشهادة ما أصابني. فقتل الطفيل شهيداً باليمامة. وجرح ابنه جرحاً شديداً، ثم قتل عامل يرموك شهيداً في زمن عمر رضي الله تعالى عنه. إلى هنا نكون قد أنينا درسنا حول الهجرة إلى الطائف ووفد دوس. دتمت في رعاية الله، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

